وقد تكرر بصورة ملفتة تكاد تكون مقصورة على الشاعر المعاصر ، وكأنما وفر علي نفسه عناء البحث عن أشباه موضوعه على أرض الواقع المعاش ، خاصة أن الموضوعات كثيرة - كما رأينا من قبل - كثرة الأشياء الموجودة في عالمه ، على نحو ما رآه عابر السبيل من كل شئ « حين يمتزج بالحياة الإنسانية » وكل ما يمتزج بالحياة الإنسانية فهو ممتزج بالشعور صالح للتعبير ، واجد عن التعبير عنه صدى مجيبا في خواطر الناس»[1] .

ويعد الوقوع علي مثل هذا الرمز التراثى كسبا جديدا يمكن أن يضاف إلى باب التواصل الفكري الذى نحن بصدده ، بما يؤهل لإضافته لفن المعارضة الشعرية ذاتها ، فكما أراح شوقي نفسه علي حساب البحترى أو أبى نواس أو المتنبى ، ثم بحث عنها فوجدها من خلال أى منهم ومن واقعه ، نجد المجال ما زال مفتوحا أمام شعرائنا الجدد ، لولا تلك الحواجز الشكلية التى ارتبطت بنزعة التجديد ، فبدت وكأنها عقبة كؤود يصعب تجاوزها حين تحولُ دون عرض التجارب في أطر الأنساق الفنية المعروفة ، ومع هذا فقد ظلت التجربة التراثية قادرة على جذبهم في كثير من الأحيان ، وأعلن فريق منهم عن ذلك صراحة علي غرار نحو ما نجده عند شاعر رومانسى مثل إبراهيم ناجي حين يتعرض طويلا للمشاهد الطللية التى أخذت لديه بعداً غزليا خاصاً ، ولكنه سيظل من طرف ظاهر أو خفي وثيق الصلة بأبعاد طللنا القديم الذى احتل مكان الصدارة مَنْ القصيدة الجاهلية ، ومن حذا حذوها في ظلال الحركة الأدبية بعد الجاهلية ، فلم يكن الشاعر ليتخلي عن منطق الإحساس بالضياع الإنسانى فى أوسع صوره ، أو الترنح أمام حالة الفقد فى أدق معانيها ، أو استكناه حرمانه الداخلي ، أو مخاوفه من المجهول ، أو ترقبه للعدم ، صحيح أن الأطلال القديمة قد بدت واقعا معاشا لدي شعرائنا ، ولها محاورها ومقوماتها الخاصة بين مكان وامرأة وشاعر ، ومن خلال بكاء وماض وحاضر ومشاعر ، وارتباطا بوقوف واستيقاف وبكاء واستبكاء ، ولكن تلك الواقعية سرعان ما تتمخض عن أبعاد إنسانية رحبة تكشفها تلك الدلالات النفسية العميقة التي شُغلت باستجلائها الدراسات الأدبية علي طريقة ما عرضه « فالتر برونة » أو عز الدين اسماعيل أو غيرهما في هذا الجانب من حيث التفسير الرمزى أو النفسى لما وراء الطلل من علاقات بعالم اللاتناهى إلى عالم العدم ومساحات الفناء المفروضة على النص وصاحبه .

---

(١) مقدمة عابر سبيل للعقاد ص ٥ .